الآراء الـــواردة في الـصفـحـة تعبر عـن وجـهـات نـظـر كـتـابـهـا ، وقـد لاتـتـفـق بـالـضـرورة مـع وجـهـة نـظـر الـجـريـدة

المفوضية العليا المستقلة للانتخابات ونسبة تمثيل النساء في مجالس المحافظات

هادي عزيز علي

أصدرت المفوضية العليا المستقلة للانتخابات النظام رقم (١٥) لسنة ٢٠٠٨ المتضمن الآلية التي يتم بموجبها توزيع المقاعد على المرشحين وحسب الأصوات التي سيحصلون عليها ، وذلك تنفيذاً لأحكام قانون انتخاب مجالس المحافظات والأقضية والنواحي رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ . وعند اجراء قراءة للنظام المذكور نجده يحتوي على عيوب قانونية ، أبرزها طريقة احتساب نسبة تمثيل النساء في المجالس المذكورة، التي قد لا تصل إلى نسبة ٢٥ بالمئة المقرة دستورياً.

ان المساس بهذه النسبة من قبل المفوضية العليا المستقلة للانتخابات ليس له سند في القانون ، ويتعارض مع قاعدة دستورية آمرة . كما أنه يخالف نص الفقرة ثانياً من المادة (١٣) من القانون رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ ، الذي ألزم بأن تكون إمرأة في نهاية كل ثلاثة فائزين بغض النظر عن الفائزين الرجال ، وأغفل ايضاً الأخذ بأحكام الفقرة ثانياً من المادة ١٥ من القانون ذاته فيما خص فقدان العضوية.

كما ان المفوضية لم تأخذ بعين الاعتبار التفسير الذي اصدرته المحكمة الاتحادية العليا بالعدد ١٣/ت/٢٠٠٧ والمؤرخ في ٢٠٠٧/٧/٣١ ، الصادر بناء على استفسار من رئاسة مجلس النـواب حـول امكانية فرض نسبة تمثيل للنساء في قانون المحافظات على وفق أحكام المادة (١٤) من الدستور، إذ وجدت المحكمة الاتحـادية العليا ان القواعد التي تتبع في تفسير أي مادة من تشريع ما ، توجب دراسة كل مواد ذلك التشريع وصولا الى فلسفته وهدفه. وقد وجدت المحكمة الاتحادية العليا ان المادة (٤٩ / رابعاً) من الدستور تنشد وتستهدف تحقيق نسبة تمثيل للنساء لا تقل عن الربع من عدد أعضاء مجلس النواب ، وهو ما يجب العمل به في مجلس المحافظة المنتخب ، نظراً لوحدة الهدف والاختصاص في المجال التشريعي ، وان هذا المبدأ لا يتقاطع مع المبدأ المنصوص عليه في المادة (١٤) من الدستور ، بل يأتي منسجماً معه في المرحلة الحاضرة .

لقد جاء تفسير المحكمة الاتحادية العليا منسجماً لما توصل إليه الفقه الدستوري في تعريف (التفسير) ، الذي يقول بأنه : (توضيح ما أبهم من الفاظ التشريع واكمال ما اقتضب من نصوصه ، وتخريج ما نقص من أحكامه ، والتدقيق بين اجزائه المتناقضة).

وفي تعريف آخر لتفسير القاعدة الدستورية بأنه تحديد معناها عن طريق ازالة غموضها وبيان مداها عن طريق استكمال نقائصها ، بعد الوقوف على المعنى الظاهر المباشر لألفاظ النص الدستوري . لقد وجدنا ان المحكمة الاتحادية العليا اضافة لما تقدم ، قد التزمت بالوسائل المتعارف عليها في فقه الدستور لتفسير النص الدستوري ، والمتطور منه على وجه الخصوص .

لقد استعملت المحكمة الاتحادية العليا طريقة الاستنتاج المنطقي كوسيلة للتفسير الداخلي ،

ومضمونها الغوص في الـدلالات اللفظية للنص وتراكيبيه الاصطلاحية واستشراف غاية المشرع وقصده من النص ، بعيداً عن الطريقة التي تعتمد على النص فقط والمسماة (الشرح على المتون) . وعند قراءتها لنص المادتين (١٤) و (٤٩ / رابعاً) تمكنت من تلمس قصد المشرع ووجدت ان مايجب العمل به في مجلس المحافظة هو ذات الهدف الذي قصده المشرع في المادة (٤٩ / رابعاً) من الدستور.

كما ان المحكمة الاتحادية العليا كانت على وعي تام بالمهمة الموكلة اليها. فقد استخدمت أكـثـر من طريقة ضمن الوسيلة الداخلية للتفسير. ويمكن القول أنها قد طبقت طريقة الاستنتاج من باب أولى. ومفادها ان الدستور قد حدد نسبة أدنى للنساء في مجلس النواب ، فمن باب أولى ان تكون تلك النسبة في مجالس المحافظات، لا بل حتى ان الاستنتاج بطريقة القياس ينطبق على ما قامت به المحكمة المذكورة للوصول الى التفسير المطلوب والمستوفي لكل المعايير والوسائل المعتمدة في التفسير.

لما تقدم يمكن ان نستنتج الآتي :

١. ان التفسير الذي أصدرته المحكمة الاتحـادية العليا المشار اليه أعـلاه ملزم للسلطات كافة ، وهـو بـات وعنصر الالـزام فيه واجباً حتى ولو لم يرد في قانون انتخاب مجالس المحافظات نص حول نسبة تمثيل النساء . وعنصر الالـزام جاء في نص المادة (٩٤) من الدستور . ويذهب كثير من الفقهاء الى اعتبار التفسير الـذي تصدره المحاكم الدستورية بمثابة تشريع يوجب النشر في الجريدة الرسمية.

٢. والـتـفـسـيـر هـو كـاشـف للنص الدستوري وليس منشئاً له ، لذا فإنه لا ينشيء قاعدة دستورية جديدة ، بل هو يقوم بازالة الابـهـام والغموض عن النص الدستوري ، عليه فان سريان التفسير يبدأ من تاريخ سريان النص الدستوري وليس من تاريخ صدور التفسير ، لذا فان نسبة تمثيل النساء في مجالس المحافظات ثابت بموجب قاعدة دستورية ونافذ من تاريخ نشر الدستور في الجريدة الرسمية في ٢٠٠٥/١٢/٢٨ .

٣. تعتبر الأحكام القضائية واجراءات الجـهـات ذات الـعـلاقـة في تـطـبـيـق النص الدستوري السابق لصدور التفسير والمخالفة له ملغية، لأنها صدرت خلافاً للنص الدستوري وخطأً في فهمه.لما تقدم فان النظام الصادر عن المفوضية العليا المستقلة للانتخاب المرقم (١٥) لسنة ٢٠٠٨ ، وبقدر تعلق الأمر بنسبة تمثيل النساء في مجالس المحافظات :

١. مخالف لأحكام الدستور المادتين (١٤) و (٤٩ / رابعاً)

٢. مـخـالـف لـلـقـرار الـتـفـسـيـري المرقم ١٣/ت/٢٠٠٧ في ٢٠٠٧/٧/٣١ الصادر عن المحكمة الاتحـادية العليا والملزم للسلطات كافة بموجب أحكام المادة (٩٤) من الدستور .

٣. مخالف لأحكام قانون انتخاب مجالس المحـافـظـات والأقـضـيـة والـنـواحـي رقـم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ قـانـون ، وكما يلي :

أ. عدم الالتزام بنسبة تمثيل النساء في مجالس المحافظات الواردة في الفقرة ثانياً من المادة (١٣) وكذلك الفقرة ثانياً من المادة (١٥) من القانون المذكور.

ب. مخالفته لنص المادة (٤٨) منه الذي خـوّل المفوضية باصدار التعليمات لتسهيل تنفيذ أحـكـامـه ، إلا انـهـا وبـدلاً من اصدار التعليمات قامت بإصدار نظام، وهـذا ما لم يخولها القانون به.

٤. خالفت المفوضية العليا المستقلة للانتخابات أحكام قانون النشر في الجريدة الرسـمـيـة رقـم (٧٨) لسـنـة ١٩٧٧ المعدل بالقانون رقم (٣٤) لسنة ٢٠٠٧ ، الـذي ألـزم بوجوب نشر الأنظمة والتعليمات في الجريدة الرسمية . ان السير خلاف ذلك يعطل الأحكام الـواردة فيه، إضافة لكونه مخالفة قانونية تعطل مبدأ جهل الشخص بالقانون ، لأن النشر في الجريدة الرسمية يحقق مبدأ عدم افتراض جهل الشخص بالقانون ، لذا فان وضع النظام في إدراج الهيئة أو نشره بغير الطريق المرسوم قانوناً لايحقق الغاية من تشريعه .

اختـــطـاف بـــاراك اوبـــامـا

هاني الحوراني
الاردن

بعد أقل من أسبوع سوف يقام حفل تتويج باراك اوباما رئيساً فعلياً للولايات المتحدة، وبذلك تطوى الصفحة القاتمة التي طبعت حقبة الرئيس الآفل جورج دبليو بوش. لكن الأيام القليلة القادمة ستمر ثقيلة، طويلة، كأنها شريط سينمائي يعرض الأحداث بالسرعة البطيئة. وذلك ببساطة لأنها الأيام التي سوف تحمل المزيد من المشاهد المأساوية والفضائع الانسانية من غزة، قتلا وجرحا لمزيد من الأطفال والنساء ودمارا اضافيا لما تبقى واقفاً من أبنية وبنية تحتية.

رأينا كيف أنه قبل أن يجف حبر قرار وقف اطلاق النار، انتقل الجيش الاسرائيلي إلى المرحلة الثالثة من توغله البري في غزة، وهكذا فإنه من المرجح أن تتواصل معاناة الغزيين حتى يوم تنصيب باراك اوباما، الذي سيقام في احتفال حاشد، يقال ان لا نظير له في تاريخ الولايات المتحدة.

وهكذا فإنه مقابل الأضواء المبهرة والألوان الزاهية والحشود المبتهجة بانتقال السلطة إلى الرئيس الأميركي الجديد، فإن مواطني العالم العربي والاسلامي، وأعدادا غير قليلة من مواطني العالم، بما فيهم في الولايات المتحدة، سوف تظل أنظارهم مصوبة على معاناة غزة وعلى الدخان والهواء المسمم بالفسفور، ومن خلال شاشات التلفاز التي تعرض العتمة الاجبارية المفروضة على ليالي غزة، والتي تخترقها بين الحين والآخر أضواء الدبابات الزاحفة أو انفجارات القذائف، التي للمفارقة، تبدو كالألعاب النارية، لكن مع قوة تدميرية هائلة تفسر، بصرياً، ما يعنيه اسم الحملة الاسرائيلية «الرصاص المسكوب»!.

كيف يقضي باراك اوباما أيامه المتبقية حتى تنصيبه رئيساً؟ هل يسمح له برنامجه المزدحم بإلقاء نظرة على شاشات التلفاز؟ وكيف يقوى على مواصلة صمته «احتراماً» للرئيس الذي ما يزال يشغل البيت الأبيض؟ وكيف لرئيس جديد قام انتصاره على تسفيه وتخطئة سياسات بوش أن يجامل الرئيس الآفل ويظهر له كل هذا الاحترام بالصمت على آخر جرائم ادارته، الا وهي دعم اسرائيل من دون تحفظ في عدوانها على غزة؟

لكن الخشية، كل الخشية هي أن ينطبق على باراك اوباما القول العربي المأثور»: «صمت دهراً ونطق كفراً». ولذلك فإن العديد من المواطنين وقادة الرأي في هذه المنطقة، ممن عقدوا آمالهم على صعود الرئيس الأميركي الجديد، يحبسون أنفاسهم قلقاً وانتظاراً لشروع اوباما بممارسة سلطاته الرئاسية، بعد أن أصبح جزءاً من المؤسسة الحاكمة، بل على رأسها. فهل يواصل «تنعيم» لغته و«تدوير» زوايا سياساته بدعوى «توحيد القوى» وراء البيت الأبيض، إلى الحد الذي لا يبقى من لغة اوباما وبرنامجه سوى ظلال باهتة؟!

لقد توالى خلال الأسابيع الماضية، وبمجرد انتخاب اوباما، جيش من الخبراء على تقديم النصائح له، وتدبيج «الوصفات» حول ما يجب وما لا يجب الاقدام عليه. وباسم الحكمة والخبرة والتجربة السابقة يتبارى حماة اسرائيل من المسؤولين السابقين في واشنطن (ومعظمهم من ممثلي المحافظين الجدد) أو الليبراليين الجدد في تحذير الرئيس المنتخب من التورط في النزاع الاسرائيلي-الفلسطيني، باعتباره جهداً ميؤوساً منه، ومغامرة سياسية غير مأمونة، بل مؤكدة الفشل! وعليه، فلكي تبقى اسرائيل طليقة اليد في تكريس الأمر الواقع في الأراضي الفلسطينية المحتلة، يوجه إليه بعض هؤلاء النصح إلى انه إذا ما أراد أن يتصدى للنزاع العربي الاسرائيلي، فليكن ذلك بالتركيز على سورية، لا على النزاع الفلسطيني!

الأنكى من ذلك عودة المحافظين الجدد، مع انفجار العدوان على غزة، إلى الترويج لأكثر السيناريوهات تشاؤماً والافصاح عن أسوأ النصائح للرئاسة الأميركية الجديدة. وتعد مقالة مندوب الولايات المتحدة السابق في الأمم المتحدة جون بولتون (وهو واحد من أكثر ممثلي المحافظين الجدد وقاحة) في صحيفة واشنطن بوست، يوم ٦ كانون الثاني الجاري، مثالاً سافراً على الصفاقة والتردي الأخلاقي لهذا التيار. ففي مقالة «خيار الدول الثلاث» يدعو صراحة الولايات المتحدة والغرب إلى التراجع عن حل الدولتين، أي قيام دولة فلسطينية إلى جانب اسرائيل، بدعوى أن هذا الحل غير واقعي وينطوي على أخطار فادحة على اسرائيل. ويدعو إلى إعادة غزة تحت الحكم المصري ووضع الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، برغم اعترافه بأن ذلك سوف ينقل «الصداع» إلى دولتين صديقتين للولايات المتحدة، لكن هذا لا يقلق ضميره، فالثابت الوحيد بالنسبة له هو تحرير اسرائيل من هذا الصداع وإحالة مهمة قمع وترويض الفلسطينيين إلى الدولتين المصرية والأردنية.مقالة بولتون الداعية إلى حل الدول الثلاث، أي اسرائيل ومصر والأردن واستبعاد قيام دولة رابعة هي فلسطين، على ما فيه من وضاعة أخلاقية، وافتقار للمسؤولية والحس التاريخي، تنطوي على اعتراف مذهل بفشل اسرائيل في مواصلة بسط هيمنتها وتسلطها على الشعب الفلسطيني وعلى الضفة والقطاع المحتلين، كما تثبت ارتفاع الكلفة الأخلاقية والسياسية لهذا الاحتلال.وعَودٌ على الرئيس اوباما فإنه مطالب ليس فقط بمغادرة الصمت الذي ماي زال يمارسه تجاه النزاع الذي يدمي الشرق الأوسط منذ ستين عاماً، وإنما الاعلان بقوة وصراحة عن الشروع بمقاربة أميركية مختلفة جذرياً عما عرفناه وخبرناه على مر العقود، والتي بقدر ما أطالت معاناة الشعب الفلسطيني فإنها عطلت جهود التنمية الاقتصادية وعمقت الفقر والبطالة وحطمت آمال أجيال متعاقبة من الرجال والنساء في العالم العربي، ورسخت، في الوقت نفسه، الكراهية والعداء للولايات المتحدة والغرب.

المقاربة التي يحلم بها الفلسطينيون والعرب لا تنطوي على دعوة الولايات المتحدة للتخلي عن صداقتها لاسرائيل، ولا عن التزامها بأمنها، فهذه باتت خارج توقعاتهم وحتى خيالهم. فالمقاربة المنشودة تراهن على أن تستعيد الولايات المتحدة حس العدالة والانصاف، والسعي الجاد للعب دورها كوسيط نزيه من أجل انهاء اسرائيل احتلالها غير المشروع للأراضي الفلسطينية والعربية منذ عام ١٩٦٧، وقيام دولة فلسطينية متصلة ذات سيادة وقابلة للحياة.

لن نجنح في التمني على الرئيس الأميركي المنتخب. لكن الأمنية الأهم بالنسبة للعالم العربي هي أن لا يسمح لأصدقاء اسرائيل، أولئك الذين ينقلون سلاحهم اليوم من كتف بوش إلى كتف الرئاسة الجديدة، بأن يختطفوا حلم التغيير الذي أطلقه، وفاز على أساسه.

فلكي يتغير الشرق الأوسط تحتاج شعوبه إلى حدوث تغيير جوهري في عقلية وسلوك البيت الأبيض الأمريكي.

الإحتـــفاء بحضـارة بـابل

د . جعفر هادي حسن
لندن

اشتهرت بابل عند الناس ببرجها وحدائقها المعلقة وقليل منهم من كان يعرف عن حضارتها وتراثها .وعلى الرغم من أن الكثير من آثارها مازال حبيسا تحت الأرض حيث هناك الآلاف من المواقع الأثرية تنتظر كشف مافيها إلا أن ما استخرجه الآثاريون حتى العصر الحاضرليس قليلا.حتى قال أحد الباحثين الأوربيين وهو يتحدث عن بلاد مابين النهرين «إنه يمكننا القول ومن دون مبالغة أن ليس هناك بلد في العالم خلف نصوصا قديمة بهذه الكثرة ووصلت إلينا كما كتبت».

وهذه النصوص تعطي صورة عن تميز حضارة بابل بتعدد جوانبها وتأثيرها على التطور المعرفي في تاريخ الإنسان. وكان من الأمور المهمة التي لعبت دورا في بقاء هذه الحضارة هو اهتمام البابليين بالكتابة والتدوين واعطائهم أهمية كبيرة حتى أنهم جعلوا للكتابة إلاهة اسموها «نيسابا» «التي تحمل في يدها القلم» والتي كانت مهمتها الإشراف على الكتابة وفنها.وقد قام الكتبة- الذين أيضا كانوا علماء وأصحاب منزلة رفيعة عند الملوك وبين المجتمع- بدور حضاري في منتهى الأهمية خصوصا في المرحلة الأولى من المملكة البابلية القديمة(في بداية الألف الثاني قبل الميلاد) حيث تمكنوا من اتقان اللغة السومرية(التي هي غير سامية) وحفظ العدد الهائل من رموزها بأسمائها وطريقة نطقها واعطاء معانيها باللغة الأكدية (السامية) ثم تأليف القواميس بهاتين اللغتين حيث وصلتنا نماذج منها. فكان هؤلاء مترجمين من الدرجة الأولى (وقد ورث العرب والأوربيون كلمة ترجمانو من البابليين).ولولاهم -كما قيل - لما كانت حضارة بلاد مابين النهرين. وكان الكتبة يتدربون في مدرسة خاصة بهم تسمى «أدوبا» وتعني حرفيا «بيت الألواح».وما اكتشف من هذه المدرسة يعطينا فكرة واضحة عنها وطبيعة المواضيع التي تدرس فيها. وكان على رأس المدرسة شخص يطلق عليه «أومُبا» وهي كلمة سومرية تعني «الخبير/العارف» ويليه في الرتبة مسؤول الفصول الذي يطلق عليه «أدا ادوبا» ثم هناك المتخصصون مثل «طوبشارنشد» خبير/استاذ الرياضيات و«طوبشار أشاكا» خبير/استاذ الهندسة والمساحة. وكان أهم موضوع يدرس في هذه المدرسة هو اللغة السومرية ويطلق على الأستاذ الذي يدرسها «طوبشار كنكيرا» المتخصص باللغة السومرية واستاذها والذي كان له موقع خاص في هذه المدرسة. وجهود هؤلاء الكتبة- العلماء تثير اليوم الكثير من الإعجاب. ولولا هذه الجهود التي بذلها هؤلاء لما تمكن العلماء المتخصصون من معرفة اللغة السومرية وفك أسرارها وفهم معانيها.

وتعتبر القواميس اللغوية التي ألفها هؤلاء الكتاب عملا جديدا ومن أولى المحاولات في تاريخ المعرفة الإنسانية. وكان عمل البابليين مستقلا عما كان قد عمل في حضارة إيبلا في سوريا.ولم يؤلف مثل هذه القواميس بعد ذلك لقرون طويلة ،إذ أن الإغريق لم يكونوا يهتمون بلغات الشعوب الأخرى.وأصبحت هذه القواميس مفيدة لبقية الشعوب بعد أن أصبحت الأكدية لغة الدبلوماسية والتجارة في الشرق الأدنى. وبتقدم الزمن اهتم البابليون بتأليف قواميس خاصة كقواميس اسماء الأحجار والنباتات والحيوانات والمعادن بل الفوا قواميس لمعاني الأفعال وقواميس لغوية للأضداد والمترادف، بل وللجذور واشتقاقاتها واستعمالاتها وكذلك قواميس للكلمات النادرة التي تستعمل في الأدب.كما لم تخل هذه القواميس من توضيحات وتعليقات خاصة من فترة الألف الأول قبل الميلاد. ويرى باحثون أن تطور الكتابة عند البابليين لم يستغرق وقتا طويلا على الرغم من القواعد الدقيقة التي وضعوها لها والأدب المتميز الذي أنتجوه. ومن المهم الإشارة هنا إلى أن مهنة الكتابة عند البابليين لم تقتصر على الرجال وحدهم وانما كانت هناك أيضا نساء كاتبات منذ وقت مبكر من الحضارة البابلية كما تدل على ذلك المكتشفات من مدينة «سبار» التي تقع شمال بابلوهو شيئ له أكثر من دلالة.كما أن معرفة القراءة والكتابة لم تكن مقتصرة على طبقة معينة من الناس كالكتاب والكهنة. بل إن الكثير من النصوص الأدبية التي عثرعليها جاءت من بيوت الناس العاديين وربما كان بعضهم يملك مكتبات خاصة. وهذا يعطينا فكرة عن أن البابلي كان له اهتمامات أدبية أيضا.

وكان أحد المكتشفات الأولى التي عثر عليه الآثاريون والذي أثار إعجاب الناس هو ماعرف بشريعة حمورابي التي تعتبر من أقدم القوانين في الحضارات القديمة وأكثرها شمولا وتفصيلا. إذ تحتوي على أكثر من مئتين وثمانين فقرة شملت الكثير من مناحي الحياة.كما تميزت شريعة حمورابي خاصة بجمال اللغة ودقتها وصفائها. وقد جاء في بعض ديباجتها التي تعطي بعض أسباب تشريعها «إنه من أجل أن يسود العدل في البلد ويقضى على الشر والظلم وكي لايضطهد القوي الضعيف». وقد وضعت نماذج منها في أماكن عامة كالمعابد كما كان التلاميذ يتعلمونها لمضمونها ولجمال لغتها وأصبحت نصوص هذه القوانين نموذجا لمايسمى اللغة البابلية القديمة.

وكما برز البابليون في تشريع الشرائع فقد اشتهروا أيضا في مجالات أخرى كالطب وكان للطبيب الذي يسمى «أسو»(وهو أسي في العربية وأسيا/اسا في السريانية) موقع مهم في المجتمع وكان يعد من أبناء الطبقة العليا وكانت مهنته متميزة لاعلاقة لها بالدين أو السحر إذ من كان يمارس علاج الناس بواسطة هذين كان يسمى «أشيفو». بينما كان الطبيب-الذي كان قد تميز بين الناس بحمل أدواته معه وطريقة حلاقة شعره- يتعلم مهنته بالدراسة أولاً.

وبعد الانتهاء من الدراسة كان يقوم بممارستها مع من هم اقدم وأكثر خبرة منه.وقد وصلنا عدد كبير من الألواح التي تضم قوائم بالأعراض والأمراض والوصفات الطبية التي كتبها أطباء. وهي تحتوي على تشخيص لأسباب طبيعية للأمراض.(ويعتقد أن أقدم وصفة طبية هي تلك التي وصلتنا من بلاد الرافدين من سلالة أور الثالثة). ويتبين من بعض هذه الوصفات التي اكتشفت أن العناصر المكونة للدواء مازالت مستعملة اليوم لنفس المرض .ومن النصوص في مجال الطب مؤلَف مهم اعتبره الباحثون تحفة علمية راقية يعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد في الأقل وعنوانه « رسالة في التشخيصات الطبية والتكهنات». ويعتقد بعض الباحثين ان هذا المؤلَف ربما كان يحتوي على خمسة آلاف إلى ستة آلاف فقرة وقد عثر على أربعين لوحا منها تمثل نصفها تقريبا. كما أن هؤلاء الأطباء عرفوا العدوى وشخصوها كماعثر على رسائل مرسلة إلى أطباء فيها الكثير من التفاصيل لحالات مرضية وبعضها احتوى على بعض اسماء الأطباء أيضا.وكان بعض هؤلاء الأطباء قد أرسل من بابل لمعالجة ملوك معاصرين للبابليين مثل الملك الحثي «حتوسيلس الثالث» في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقد استعمل الأطباء في علاج هذه الأمراض ليس الأدوية فحسب وإنما استعملوا الأدوات للعمليات الجراحية.ومما يدل على انتشار الطب هو وجود سبع مواد في الأقل في شريعة حمورابي تتعلق بعمليات جراحية. .ويرى بعض الباحثين أن البابليين قد مارسوا العلاج النفسي أيضاً الذي يعتقد أنه من نتاج العصر الحديث.

واهتم البابليون بالرياضيات وقد عثر على آلاف الرقم والألواح التي تضم أعدادا رتبت بطرق مختلفة وعمليات طرح وجمع ومسائل حسابية تتعلق بالعمارة ومساحة الأرض والسقي .كما عثر على ألواح كثيرة تحوي تمارين رياضية بعضها مع حلول لها والبعض الآخر بدون ذلك وبعض هذه التمارين بمستوى متقدم.وإن ماوصلنا منهم من قضايا رياضية يؤكد قدرتهم النظرية التي قل أن وجد مثلها قبل العصر الكلاسيكي. وكان تصنيع المعادن شائعا واعطوا لمن يمتهن ذلك اسما عاما يدل على تخصصه وهو«نفاخو»(بالأرامية نفاخا وبالعربية نفاخ).ثم خصصوا ذلك بإضافة اسم المعدن اليه فسمي الحداد «نفاخ فرزيلو» والذي يعمل بالذهب «نفاخ خورصي».(ومن هذه الكلمة أخذت الكلمة اليونانية خروسس للذهب).ويقول جورج روكس في كتابه العراق القديم.ليس من شك في إن البابليين (والآشوريين) كانوا يعرفون أكثر مما عثر عليه في كتاباتهم فنقل الصخور الهائلة ونصبها مثلا أو انشاء ممرات مائية طويلة يدل على معرفة متقدمة بقوانين الفيزياء.وكذلك معرفتهم ببعض مبادئ الكيمياء التي كانت قد طبقت بشكل ناجح في الأدوية والأصباغ وعمل الزجاج الملون وتزيين الآجر بالمينا»

.واهتموا كذلك بعلم الفلك وكانوا يراقبون القمر والشمس والنجوم بشكل دقيق وكانوا يقومون بهذه المراقبة من على المعابد الدينية وأبراج خاصة في بعض المدن. كما تنبأوا بخسوف القمر وكسوف الشمس وراقبوا الرياح والسحب أيضا. وفي ضوء علم الفلك قسموا السنة إلى اثني عشر شهرا(ومازالت اسماء الأشهر البابلية تستعمل عند اليهود وكذلك النظام الشمسي-القمري). وقسموا الشهر إلى ثلاثين أو تسعة وعشرين يوما وقسموا اليوم إلى أربع وعشرين ساعة والساعة إلى ستين دقيقة .وقد وردت اسماء علماء فلكيين في بعض الرسائل البابلية التي عثر عليها وسجل هؤلاء حالات كسوف وخسوف بشكل دقيق كما يقول بطليموس.وظل الناس يستفيدون من خبرة البابليين في هذا المجال بعد زوال دولتهم خاصة. إذ نقرأ أن نابو- ريماني (القرن الخامس ق.م) وكدينو والكاهن بل أشور(القرن الثالث ق.م) كانوا من العلماء الذين استفاد منهم الإغريق في علم الفلك وأطلقوا عليهم أسماء إغريقية.فالأول سمي نابوريانوس والثاني سديناس والثالث بيرسوس.ولذلك اختلط على بعض الباحثين أصلهم وظنوهم من الإغريق فنسبوهم إليهم خطأ ومن الضروري إعادة هويتهم لهم.وعرف عن الكاهن بل أشور أنه كان له حلقة دراسية يدرس فيه طلاباً في بلاد الإغريق بطلب منهم. وبل أشور هو نفسه الذي كتب تاريخا باللغة اليونانية لموطنه بابل ولملوكها ولم يصل لنا من هذا الكتاب - مع الأسف- إلا أجزاء قليلة.ومما ذكره في هذا الكتاب أن نبوخذنصر بنى الحدائق المعلقة لزوجته أميتس.وقد ذكر مؤرخون أن الإسكندر الأكبر كان معجبا بخبرة البابليين في علم الفلك وحكمتهم ويرى بعض الباحثين أن تعاون علماء الفلك البابليين والإغريق قد ساهم في تطور هذا العلم إلى درجة لايمكن تجاهلها. كما إن بعض علماء الفلك من القرن السادس الميلادي قد اعتمدوا على ملاحظات البابليين في التنبؤ بكسوف الشمس.ومعروف أن رموز الأبراج المستعملة اليوم ترجع في أصلها إلى البابليين (وهناك لوح أثري من بابل في المتحف البريطاني يؤكد ذلك). وقد قيل إن شعب مابين النهرين قدم أعظم إنجازاته في حقل الرياضيات والفلك.

كما ابتكر البابليون الساعة الشمسية وقال المؤرخ هيرودوتس(القرن الخامس قبل الميلاد) عن ذلك «إن علم المساحة والساعة الشمسية وتقسيم اليوم إلى اثنتي عشرة ساعة لم تأت من اليونان أو مصر ولكن من بابل». واهتم البابليون كذلك بالجغرافيا وقد عثر على نصوص تتضمن قوائم لأسماء البلدان والجبال والأنهار والمدن بل وحتى للمسافات بين المدن وهي قضية مفيدة جداً للمؤرخين في العصر الحديث. وقد عثر على بعض المخططات(وليست خرائط بالمعنى الحديث) لبعض المدن وقد اكتشف مخطط لمدينة نيبور كان قد وضعه البابليون لها يتفق مع ماكتشفه الآثاريون لواقع هذه المدينة. بل عثر على خريطة للعالم كذلك تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد.وكتب على أقصى الشمال منها «الأرض التي لاترى فيها الشمس أبدا».كما اكتشفت نصوص تشير إلى اهتمامهم بالجغرافيا التاريخية من عصر مبكر.

واهتموا أيضا بالتاريخ فعدا عن تدوين ما أنجزه الملوك في أثناء حكمهم وما كتب على الأبنية من معلومات تاريخية فقد عثر على قوائم تضم اسماء السلالات الملكية وأسماء الملوك وشخصيات معروفة وقوائم بأحداث متزامنة إلى جانب تسجيل

الحملات العسكرية التي أفادت الباحثين كثيرا ليس في تأريخ الحدث حسب ولكن أيضا في معرفة اسماء الملوك والبلدان الأخرى. وكانت قوائم الملوك تذكر أحيانا الأحداث المهمة لكل سنة في فترة حكم هؤلاء الملوك .ومن القوائم المفيدة التي اكتشفت قوائم باسماء الآلهة.ومن الأمور المهمة التي اكتشفت قوائم طويلة بالطوالع(طوالع الخير والشر) يصل عددها إلى الآلاف.وكان لهذه الطوالع متخصصون بها يدرسونها ويتدربون على معرفتها لفترة طويلة يسمى الواحد منهم «الرائي أو الناظر».وهي مفيدة جدا لدراسة العادات والتقاليد والمعتقدات للمجتمع البابلي. وقد تأثرت بعض الشعوب«بهذا العلم» (كما أطلق عليه بعض الباحثين) كالحثيين فجمعوا قوائم لها مماثلة أيضا. واهتموا بالوثائق والحفاظ عليها والإعتناء بهافقد كانت بعض الرسائل المهمة والوثائق توضع في ظروف من الطين وتختم حتى لايعبث بها أو تقرأ من قبل أناس غير مخولين.وكانت تكتب بعض الكلمات على الظرف تشير إلى مابداخل الوثيقة أو الرسالة.وقد عثر على عدد كبير من هذه وهي مازالت مغلفة. ويبدو أن ختم الرسائل الشخصية بختم خاص من الحجر كان معروفا بين البابليين حتى ان هيرودتس ذكر أن كل بابلي كان له ختمه الخاص. كما ترك لنا البابليون تراثا أدبيا مهما شعراً ونثرا من أدب حكمة وفكاهة وغيرهما ويأتي على رأس هذا الأدب قصة الخلق وعشتار في العالم السفلي وملحمة جلجامش.وهذه الملحمة هي واحدة من أهم الملاحم في العصور القديمة.وقد كان من إعجاب الشعوب الأخرى بها وتأثرهم بروعتها أنهم ترجموها إلى لغاتهم وقد عثر على ترجمتها إلى اللغة الحورية واللغة الحثية. وفي العصر الحديث ترجمت الملحمة إلى أكثر من لغة كما هو معروف على رأسها الإنجليزية.

وقد قيل عن البابليين انهم فاقوا في العلوم معاصريهم من الشعوب الأخرى.

.وقد أعجب الباحثون والآثاريون بدرجة حب البابليين للبحث الخالص وحبهم للإستكشاف والإستطلاع .أما عن بابل في عصرها المتأخر فقد وصفها المؤرخ هيرودتس وصف معجب بها ومنبهر ببنائها وبتخطيطها وبوباواتها فقال عنها «لا توجد مدينة تشبهها في روعتهافي العالم الذي نعرفه».وكان أشهر هذه البوابات بوابة عشتار التي زينت واجهتها باللون الأزرق وزينت بعدد من التنانين(رمز للإله مردوخ) وكذلك بعدد من الثيران(رمز الإله أدد). وقد بلغ عدد هذه الرموز ٥٧٥رمزاً. وكانت البوابة موصولة بشارع سماه الباحثون «طريق المواكب» واطلق عليه البابليون إبور شابو(الطريق الذي لن يجتازه العدو).وتوجد بوابة عشتار اليوم في متحف برلين وهي تبهر الإنسان بشكلها وبنائها وروعة تصميمها. وذكر أن بابل ضمت أكثر من ألف معبد من مختلف المقاسات. بل ذكر بعض المؤرخين أن الإسكندر الأكبر- الذي كان في بلاد مابين النهرين ومات فيها- قد أبدى إعجابه بها وأراد أن يجعلها عاصمته العالمية بل ذكر بعض هؤلاء أنه جعلها فعلا عاصمته واستقبل السفراء فيها.

×كتبت هذه الدراسة المختصرة بمناسبة احتفاء المتحف البريطاني لعدة أشهر بحضارة بابل(الكاتب)

اراء وافكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.
٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.
٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@ yahoo.com